رأي القدس

معضلة القوات الدولية في الجنوب

■ أمرت الحكومة اللبنانية امس جيشها بالانتشار في الجنوب، ولكن مشكلة تشكيل قوات دولية تساعد وحدات هذا الجيش في اداء مهمتها، ما زالت على حالها بسبب التعقيدات التي تفرضها اسرائيل من ناحية، وغموض دور هذه القوات من ناحية اخرى.

الحكومة الفرنسية أعربت عن استعدادها لقيادة هذه القوات شريطة موافقة كل الاطراف على دورها، وخاصة «حزب الله»، وعدم تعرض افرادها لاي اهانات، او حتى اعمال انتقامية، تهدد ارواحهم.

وموقف «حزب الله» من هذه القوات هو موقفه نفسه من وحدات الجيش اللبناني التي تستعد للانتشار جنوب نهر الليطاني، فهو معها طالما انها تعمل من اجل خدمة لبنان وحماية مواطنيه، وضدها اذا كانت لخدمة اسرائيل وحماية مستوطناتها.

المسؤولون الاسرائيليون الذين يعيشون حالا من الارتباك بسبب خسارتهم للحرب في لبنان، ما زالوا عاجزين عن حسم موقفهم بشأن هذه القوات، فيوم امس قال احدهم ان حكومته لن تقبل بقوات من دول لا تقيم علاقات دبلوماسية مع الدولة العبرية، في اشارة الى ماليزيا واندونيسيا الدولتين المسلمتين اللتين عبرتا عن استعدادهما لارسال قوات في اطار الامم المتحدة الى جنوب لبنان.

وهذا الشرط الاسرائيلي يعكس عجرفة مستفزة للامم المتحدة وللبنانيين ولفرنسا التي تتصدى حكومتها لقيادة هذه القوات، فقرار مجلس الامن الدولي رقم 1701 الذي نصّ على ارسال هذه القوات لم يتضمن اي تحديد لهويتها، وما اذا كانت دولها تقيم علاقات مع الدولة العبرية ام لا.

ويبدو ان المسؤولين الاسرائيليين ما زالوا يعيشون عقلية ما قبل الحرب الاخيرة، ويتصرفون كأنهم القوة العسكرية التي لم تهزم بشكل مهين امام المقاومة الاسلامية.

والا لما حاولوا فرض شروطهم هذه. ولو كانوا يعترفون بالهزيمة، لادركوا ان المقاومة الاسلامية هي التي عدلت مشروع القرار الامريكي الفرنسي في مجلس الامن، وحذفت منه كل الفقرات والاشارات التي تتناقض مع مطالبها، وخاصة تلك التي كانت تنص على استناد هذه القوات الى البند السابع من ميثاق الامم المتحدة، والافراج عن الجنديين الاسرائيليين فوراً، والنص الصريح على نزع سلاح حزب الله.

مسألة الاتفاق على تشكيل هذه القوات ستستغرق وقتاً طويلاً، لان الزمن الذي كانت تفرض فيه اسرائيل ارادتها على لبنان، من خلال الفيتو الامريكي، والتواطؤ الغربي، قد ولى الى غير رجعة، وان هناك واقعاً جديداً على الارض بدأ يفرض نفسه بعد ان قلب انتصار المقاومة جميع المعادلات السياسية والعسكرية.

والمهم قبل هذا انهاء الحصار الجوي والبحري الذي تفرضه اسرائيل على لبنان من جانب واحد، لان هذا الحصار لا يتم بقرار دولي، مثلما يتناقض مع الرغبة في عودة السلام والاستقرار الى هذا البلد لانه يزيد من معاناة الشعب اللبناني، ويعرقل مسألة اعادة اعمار ما دمرته الغارات الاسرائيلية.

الحكومة اللبنانية يجب ان تدفع إلى انهاء هذا الحصار، وتجعل من هذا الانهاء شرطاً لاي تعاون مع قرار مجلس الامن الاخير بارسال هذه القوات.

لبنان والعرب والدولة العبرية ما بعد القرار 1701

د. بشير موسى نافع *

■ بات من نافل القول ان حزب الله حقق انتصاراً تاريخياً كبيراً. والحقيقة ان بوادر الانتصار ظهرت منذ نجح حزب الله في الأسبوع الأول من الحرب في استيعاب العدوان الإسرائيلي الكبير. دمر العدوان الإسرائيلي طرقا وجسورا ومعامل وبنايات، وقتل المئات من اللبنانيين المدنيين. ولكن حزب الله واجه الإسرائيليين بنجاح كبير في كل دائرة من دوائر الأهداف الإسرائيلية: على أرض الجنوب، في القدرة الصاروخية على الردع، وفي المجال السياسي. ومن نافل القول ان قرار مجلس الأمن 1701 ما كان ليصدر لولا صمود مقاتلي حزب الله والفشل الذريع للجيش الإسرائيلي. ولكن نص القرار جاء في مجمله لتلبية عدد من الأهداف التي فشل العدوان الدموي المدمر في تحقيقها، مثل إبعاد مقاتلي حزب الله عن المنطقة بين الخط الأزرق ونهر الليطاني، وإخلاء المنطقة نفسها من سلاح الحزب، ونشر الجيش اللبناني وقوة دولية محل قوات المقاومة. النصر الديبلوماسي الذي حققه لبنان كان في تعديل المسودة الفرنسية للقرار بحيث تكون القوات الدولية قوات حفظ سلام لا قوات أمنية مقاتلة، وهو أصل المطلب الإسرائيلي، إضافة إلى استبدال النص الخاص بتجريد حزب الله من سلاحة بتوكيد جديد على اتفاق الطائف والقرار 1559. كما تضمن القرار إشارة غامضة لمزارع شبعا، وهي الإشارة التي تحسب لصالح لبنان.

طبقاً للقرار، ليس ثمة ما يجبر الإسرائيليين على وقف كامل وشامل لإطلاق النار، ولا على الانسحاب الفوري من المناطق المحتلة في الجنوب. ليس هناك جدول زمني لتنفيذ نصوص القرار، وليست هناك آلية محددة لكي تحل قوة محل أخرى. إن نظرنا إلى الأمور من زاوية الموقف الإسرائيلي، فالأرجح ان تستمر الحرب بوتيرة مختلفة إلى أن تدرك الدولة العبرية عمق واتساع هزيمتها وتوافق على وقف حقيقي لإطلاق النار والانسحاب من المناطق شمال الخط الأزرق. ومظاهر الاعتراف الإسرائيلي بالهزيمة كثيرة على أية حال. أما إن نظرنا من زاوية الجانب اللبناني، فإن الأطراف المعنية جميعها تدرك ان خروج المقاومة وإخلاء الجنوب من سلاح حزب الله سيكونان المعضلة الأكبر. ولم يكن مستغرباً ان تسارع اطراف الحكومة اللبنانية المعروفة بمعارضتها لوجود حزب الله كقوة مقاتلة إلى طرح مسألة نزع سلاح الحزب وإخلاء الجنوب بعد يوم واحد فقط من صدور القرار 1701، مما أدى إلى فشل اجتماع الحكومة اللبنانية الذي أريد له معالجة هذه المسألة. كانت سياسة حزب الله خلال أسابيع العدوان الخمسة الأولى الحفاظ على تماسك الوضع السياسي اللبناني الداخلي، حتى لو أدى ذلك إلى موافقة الحزب على مسائل لم يكن ليوافق عليها لو كان الوضع اللبناني الداخلي موحداً. وربما لولا مقاومة حزب الله الصلبة في الجنوب، وصموده السياسي، لكانت أطراف ما يعرف بالأكثرية في الحكومة اللبنانية قد وافقت على ما هو أسوأ بكثير من القرار 1701. ولكن في حين ان حزب الله قبل بالقرار، مع التحفظ على عدد من بنوده، للحفاظ على التماسك الداخلي، فإن أطراف الأكثرية النيابية (كما الدولة العبرية والولايات المتحدة) رحبت ترحيباً حقيقياً بذلك الجزء من القرار المتعلق بتواجد حزب الله المسلح في الجنوب.

سيترك انتصار حزب الله نتائج هامة على الوضع اللبناني الداخلي، وعلى وضع الدولة العبرية وعلاقتها الصراعية بالجوار العربي، وعلى الوجود العسكري الأنكلو ـ أمريكي والسياسة الأمريكية في المشرق العربي ـ الإسلامي. على المستوى اللبناني، كان من الملاحظ خلال أشهر الحوار الطويلة بين الفرقاء اللبنانيين ان حزب الله يتعامل مع القوى اللبنانية الأخرى بقدر ملحوظ من المواطنية والندية. أما الآن، وقد رأت هذه القوى كيف ان حزب الله خاض هذه المعركة الكبرى ضد الجيش الإسرائيلي، وانتصر فيها، فربما بات عليها ان تتواضع قليلاً في تعاملها مع الحزب، وأن تدرك ان هذا الحوار لا يدور بين أطراف متساوية. ولم يعد لقوى الأكثرية اللبنانية ان تحتمي بالدعم الأمريكي ـ الفرنسي، فهزيمة العدوان لم تكن هزيمة للدولة العبرية وحسب، بل لحلفائها أيضاً. واشنطن وباريس، اللتان وقفتا خلف القوى اللبنانية المناهضة لحزب الله، لم توفرا للبنان الحماية من العدوان والدمار؛ وقد قاتلت المقاومة الإسلامية وحدها، باسم لبنان، ضد العدوان والدعم الدولي السافر لهذا العدوان. المعادلة اللبنانية تغيرت، وتغيرت إلى فترة طويلة قادمة، وعلى الأطراف اللبنانية ان تأخذ هذا في الاعتبار.

ما الذي يعنيه هذا المتغير إذن؟ حزب الله لن ينسحب من الجنوب. إن وجدت صيغة فعالة لوقف إطلاق النار، كل ما سيقوم به حزب الله هو إعادة مقاتليه إلى حياتهم الطبيعية، إلى مدارسهم وجامعاتهم وورش أشغالهم واسرهم. المسألة التي يكاد يتجاهلها الكثيرون ان حزب الله ليس قوة ذات مركز ثابت ومعسكرات واحتياط عسكري. الذين يقاتلون الإسرائيليين في الجنوب هم أبناء الجنوب، وليس عليهم في حال انتهاء القتال ورد العدوان إلا العودة إلى حياتهم الطبيعية. أما السلاح، الفردي منه والاستراتيجي، فليس ثمة ما يشير الى ان الحزب سيتخلى عنه لأحد. كل ما يستطيع حزب الله القيام به على هذا الصعيد هو إخفاء المظاهر المسلحة في الجنوب. إن وافق الفرقاء اللبنانيون ممن يطلق عليه أحياناً معسكر 14 آذار على هذه الترتيبات، فسيكون لبنان قد خرج من هذه الحرب أقوى بالفعل؛ أما إن رفضوا، وانحازوا إلى جهة المطالب الإسرائيلية ـ الأمريكية ـ الفرنسية، وتجاهلوا حقائق ميزان القوى، فسيعود لبنان إلى أجواء التشاحن والتدافع الداخلي. وسيصب هذا الانقسام لصالح عدم الانسحاب الإسرائيلي الناجز من الجنوب. القول بأولوية تقوية الدولة اللبنانية لتصبح الإطار الحاضن للوطنية اللبنانية، هو قول صحيح. ولكن الدولة ليست كتلة صماء، بل مؤسسة بسياسات وتوجهات وقوى فعالة ومؤثرة. والسؤال المواكب لأطروحة الدولة لابد ان يكون دولة من، ولحساب من، ولصالح من. لهذا كله فإن من المبكر الحديث عن نهاية لهذه الحرب. ولكن المهم أن استمرار حالة الحرب لن يؤدي إلا إلى مزيد من الهزائم للإسرائيليين ومزيد من إضعاف قوى 14 آذار العتيدة، إلى أن يدرك كلاهما (مع الاختلاف بالطبع) ان المتغيرات الاستراتيجية على الأرض لا يمكن الالتفاف عليها، لا بقرار أمريكي ـ فرنسي، ولا بقوة الجيش الإسرائيلي.

على المستوى العربي والإسلامي، يساعد انتصار حزب الله على دعم موقف قوى المقاومة الفلسطينية، سواء في مواجهة الضغوط الأمريكية ـ الإسرائيلية أو في مواجهة قيادات أوسلو الفلسطينية. بل ويقدم هذا الانتصار دعماً معنوياً هائلاً للشعب الفلسطيني، تماماً كما مثل انتصار ربيع 2000 في الجنوب اللبناني رافعة للوضع الشعبي الفلسطيني. وبعد ان أقر الإسرائيليون بأن لا سبيل أمامهم سوى التفاوض لإعادة جنديهم الأسيرين لدى حزب الله، فربما سنشهد تلازماً موضوعياً بين قضية الأسير الذي تحتفظ به حماس والاثنين اللذين يحتفظ بهما حزب الله. على ان انتصار حزب الله لن يعزز وضع قوى المقاومة فحسب، بل وسيعزز موقع ودور وتأثير التيار الإسلامي كله عبر كل المجال العربي والإسلامي، بالرغم من الضجة العابرة حول فتاوى البعض المتعلقة بموقف السنة من الشيعة.

وليس هناك من شك في ان نتائج الحرب تصب لصالح سورية وإيران أيضاً؛ وقد بات من الصعب عزل سورية عربياً وتجاهل إيران. إن سارت الأمور في اتجاه عودة سورية إلى مركز النظام العربي الرسمي (بعد فتور واضح في العلاقة بين دمشق من جهة والقاهرة والرياض من جهة أخرى)، وفي اتجاه التفاهم مع إيران، فربما يصل هذا التفاهم إلى الساحة العراقية ويستطيع في النهاية العمل على إعادة بناء العراق في إطار غير ذلك الذي وضعته إدارة الاحتلال. ان تحل القوى الإقليمية محل الوجود الأمريكي في العراق لم يعد يتطلب صراعاً مع واشنطن، أو حتى إقناعها، فالهزيمة الإسرائيلية في لبنان هي هزيمة للسياسة الامريكية ايضاً، هزيمة في لبنان وفي العراق وفي مواجهة إيران. بعد هذه الهزيمة، بات على واشنطن لا التفكير في الانسحاب من العراق وحسب، بل والتخطيط لهذا الانسحاب. ولم يكن غريباً على أية حال ان الخسائر الامريكية في العراق قد تصاعدت في شكل ملحوظ خلال شهر العدوان الإسرائيلي على لبنان. إيران، من جهة أخرى، ستصبح أكثر ثقة بأوراق حلفائها في المنطقة، من فلسطين إلى سورية إلى لبنان، وأكثر ثقة في قدرتها على الاحتفاظ بمشروعها النووي. ولكن هذا لا يعني نهاية أزمة الملف النووي؛ فقد يؤدي الفشل في لبنان إلى تراجع في الضغوط الدولية على إيران، أو قد يؤدي إلى تعزيز موقف الداعين في الإدارة الأمريكية وفي الدولة العبرية إلى ان المواجهة المباشرة مع إيران باتت حتمية. ثمة عقل إمبريالي عدمي يسيطر على توجهات السياسة الغربية، وليس هناك حد لقدرة هذا العقل على توليد الكوارث.

بيد ان المناخ الاستراتيجي العالمي كله في طريقه للتغيير. في هذه الحرب، كما في العراق وأفغانستان وفلسطين، تواصل السياسة الأمريكية الإمبريالية إخفاقاتها. وخلف هذا الإخفاق، هناك من ينظر باهتمام كبير ويقرأ المعاني والدلالات. لقد اتسعت الهوة الفاصلة بين العالم الإسلامي والولايات المتحدة كما لم تتسع من قبل. المظاهرات الغاضبة في عشرات المدن التركية، في أندونيسيا، وفي الرباط، وفي القاهرة، تحمل رسالة واحدة للنظام العالمي. سيصب اتساع هذه الهوة لصالح روسيا والصين، ولابد ان تدفع البعض على الأقل في باريس إلى إعادة تأمل التراجع الكبير في السياسة الخارجية الفرنسية لصالح الولايات المتحدة خلال العامين الماضيين. فالسياسة الفرنسية تجاه لبنان وسورية وإيران تتحمل هي الأخرى الكثير من المسؤولية تجاه الموت والدمار الذي شهده لبنان، وتجاه الفشل الإسرائيلي الفادح.

على المستوى الإسرائيلي، تواجه الدولة العبرية توكيداً جديداً على انحطاطها الاستراتيجي. بدأ التراجع الإسرائيلي بتوقيع اتفاق أوسلو (بالرغم من سيئاته الفادحة) والانسحاب الجزئي من الضفة والقطاع؛ ثم تسارع هذا التراجع بالخروج من جنوب لبنان في 2000 بدون اتفاق مع لبنان؛ الإخلاء الكامل لقطاع غزة في خريف العام الماضي؛ وصولاً إلى الهزيمة العسكرية الهائلة خلال الأسابيع القليلة الماضية. لو كانت إسرائيل تمثل فعلاً ملجئاً لليهود من الاضطهاد الأوروبي والعنصرية المعادية للسامية، لكان في هذا التراجع الاستراتيجي دافع لانتهاج سياسة جديدة تقوم على العدل ومحاولة الاندماج في المحيط العربي ـ الإسلامي. ولكن الدولة العبرية هي في الحقيقة مشروع إمبراطوري للسيطرة بالعنف والتوسع والهيمنة الإقليمية. ولهذا، وكما كل الأنظمة الإمبراطورية، سيصعد هذا التراجع لدى الدولة العبرية نزعة العنف والعدوان والدمار واللجوء إلى القوة المجردة. الذين يتصورون ان عصر الحروب في الشرق الأوسط قد انتهى يعزون أنفسهم بالأمنيات. الخلافات الإسرائيلية الداخلية المتوقعة حول الفشل في لبنان لن تكون خلافات حول نهج السلام والتفاهم مع الجوار العربي والإسلامي، بل خلافات حول عجز الآلة العسكرية عن إنجاز الأهداف. الالتفاف الإسرائيلي شبه الإجماعي حول العدوان على لبنان يقدم دليلاً جديداً على طبيعة هذه الدولة وعلى السيكولوجيا الجمعية التي توحد شعبها. هنا، ليس ثمة صقور وحمائم، بل منتصرون ومهزومون. ووحدها الهزيمة والخسائر من يولد انقسامات في الرأي العام الإسرائيلي. ولن يكون مستغرباً في حال سقطت الحكومة الحالية، أو عقدت انتخابات جديدة، ان تشهد السياسة الإسرائيلية صعوداً لأمثال نتنياهو وموفاز وأشباههما.

النتائج المترتبة على الإخفاق الإسرائيلي قد تحققت بالفعل. ولكن نهاية الحرب مسألة أخرى. انتهاء هذه الجولة من حرب الأجيال على فلسطين وروح المشرق يتطلب إقراراً إسرائيلياً بالهزيمة.

* كاتب وباحث عربي في التاريخ الحديث

النكسة العسكرية الاسرائيلية في لبنان

د. يوسف نور عوض *

■ تعرضت من قبل إلى فكرة ابن خلدون حول العصبية وهي الفكرة التي بنى عليها نظريته في إقامة الدول وزوالها، وقد فسرت فكرة العصبية على أنها لا تقتصر على المفهوم التقليدي الذي يربطها بالقبلية والعنصرية لأنها من وجهة نظري تتجاوز ذلك إلى نظرية الايديولوجيا أو الفكرة التي يمكن أن تبني عليها الدول. ونجد مصداق ذلك في كثير من الاسس التي قامت عليها الدول عبر التاريخ وهو ما نلمحه في الاساس الذي قامت عليه إمبراطورية جنكيزخان وهولاكو الممتدة وما قامت عليه الإمبراطورية الإسلامية وما قام عليه الاساس الايديولوجي للإتحاد السوفييتي السابق وكذلك الاساس العرقي الذي بني عليه أدولف هتلر دولته النازية وأخيرا الأساس الذي تعتمده الولايات المتحدة وبعض دول الغرب التي تبشر بالحرية والديمقراطية على الرغم من أن سلوكها العملي يخالف ذلك كليا. ولا نريد أن نؤكد أن الأساس الايديولوجي صادق في كل الظروف أو قادر على أن يقيم دولة ولكنه ضروري لإقامة الدول حتى لو كان ذلك إلى فترة محدودة من التاريخ.

وإذا نظرنا من هذه الزاوية إلى الكيان الصهيوني في اسرائيل وجدنا أنه لم يخرج في توجهه العام من فكرة العصبية، بيد أن الجوانب السلبية في العصبية الصهيونية اليهودية أقوى منها في أي ايديولوجية أخرى وربما كان السبب في ذلك الظروف الصعبة التي واجهها اليهود في كثير من البلاد الأوروبية التي اتهمتهم بمحاولة السيطرة على الإقتصاد والسياسة من خلال تنظيماتهم الخاصة التي تتعارض مع مصالح الدول التي يعيشون فيها. ويبدو هذا الواقع في الظروف الصعبة التي واجهها اليهود في روسيا وألمانيا وهو ما ولد لديهم إحساسا بضرورة أن يقيموا كيانا خاصا بهم على اسس توراتية ووقع الإختيار في ذلك على أرض فلسطين التي ترتبط بها عقيدتهم، ولكن الاسس التي قامت عليها دولتهم في ـ أرض فلسطين ـ افتقرت إلى المنطق السليم بكونهم اتخذوا موقفا عدائيا غير مبرر من سكان البلاد الاصليين بينما تصالحوا مع العالم الغربي الذي واجههم بالعداء في كثير من الظروف وهكذا اضاع اليهود كل الخيارات السلمية المطروحة وأهمها إثنان، الأول أن يقوم وطن مشترك بين الفلسطينيين واليهود يعيش فيه الشعبان بسلام في ظل نظام ديمقراطي وهو ما رفضه اليهود لأنه يلغي فكرة الدولة التوراتية ويثير الشكوك حول مستقبل هذه الدولة في ظل تزايد سكاني محتمل من الجانب العربي إضافة إلى وجود عربي يتعاطف مع الشعب الفلسطيني، وأما الخيار الثاني فهو أن تقوم دولة فلسطينية إلى جانب الدولة الإسرائيلية وهي فكرة تظاهرت اسرائيل في أول الأمربقبولها ولكن حين بدا لها تراجع المواقف العربية اعادت النظر فيها بدعوى أنه لا يوجد شريك تتعامل معه في الشرق الأوسط وبدأت تفكر في إقامة البؤر الإستيطانية وتبني حائط الفصل العنصري بل وتفكر بطريقة جدية في تهجير الشعب الفلسطيني بأكمله إلى دول مجاورة مثل لبنان وسورية والأردن وقويت هذه النزعة عند اسرائيل مع تواصل التراجع العربي في الدفاع عن الحقوق الفلسطينية، ولا تعني حالة الضعف التي عمت البلاد العربية أن حكوماتها كانت في حالة غيبوبة أو أنها لا تعي من أمرها شيئا بل هي سياسة مقصودة لأن الحكام العرب لا يرتبطون بسياسات وطنية بل تقوم سياساتهم على خدمة مصالح النخب الحاكمة وبالتالي وصلوا إلى إقتناع بأن تغيير الوضع الحالي لا يخدم مصالحهم وهو ما أوصلهم إلى حالة مخزية من الإستسلام بلغ قمته في المواجهة التي جرت أخيرا بين لبنان واسرائيل حيث أطلق بعض الساسة العرب تصريحات التوبيخ والتحذير للمتسببين في الحالة اللبنانية وبعد أن ظهرت قوة الصمود اللبناني حاولوا أن يلحقوا بالركب فاسرعت الجامعة العربية المنهارة بعقد اجتماعها في بيروت. وأرسلت مصر وفدا من الفنانين وعلى رأسه جمال مبارك وكان ذلك خطأ استراتيجيا لان الوضع لم يكن يحتمل ان يروج الرئيس المصري حسني مبارك لإبنه في مثل هذه الظروف خاصة بعد أن تقاعس في نصرة الشعب اللبناني على وجه صريح بل ووصل الاستفزاز أن ظهر أحد قساوسة الكنيسة القبطية على إحدى القنوات العربية يدعو الزعماء العرب كي يقفوا خلف الرئيس حسني مبارك في ما سماه دعوته إلى مجلس الأمن كي يتخذ قرارا بشأن لبنان في الوقت الذي يشهد فيه الجميع أن موقف الرئيس مبارك كان من اكثر المواقف تراجعا ولا يرقي إلى مواقف عبد الناصر في هذه المناسبات.

ولا شك أن الخطأ الأكبر في هذه المرة جاء من الجانب الإسرائيلي الذي ظل يخطط منذ سنوات طويلة لضرب حزب الله وتصفيته في جنوب لبنان معتمدا على وضع عربي متراجع ودون إلتفات لحقيقة المشاعر العربية تجاه اسرائيل. وكان الغرض الأحداث. وأيضا تقويض الطموحات الفلسطينية نحو إقامة دولة مستقلة للفلسطينيين ولكن الخطأ الذي ارتكبته اسرائيل هو أنها وضعت استراتيجيتها بطريقة تقليدية وكأنها كانت بصدد ملاقاة جيش نظامي ولم تدرك أنها كانت متجهة لملاقاة حركة مقاومة تستعد منذ زمن طويل ولا تعتمد أساليب الحرب التقليدية بل تعتمد اساليب حرب العصابات وبالتالي لم تجد اسرائيل أمامها جيشا أو دبابات تدمرها كما كان شأنها في حروبها السابقة بل قضت شهرا باكمله وهي لا تعرف من أين تطلق عليها الصواريخ بدليل ان الصواريخ كانت تطلق حتى قبل اللحظة الأخيرة من وقف العمليات العسكرية وكان أقصى ما فعلته اسرائيل هو تدمير البنى التحتية وإصابة المدنيين وتلك حرب اليائسين التي أتت بنتائج عكسية ضد اسرائيل حيث بدأت الأصوات في مختلف أنحاء العالم ترتفع منددة بالهجمات الوحشية للجيش الإسرئيلي ضد الأطفال والأبرياء في مساكنهم الآمنة ولكن ما فعلته اسرائيل لم يقلل من عزيمة الصمود عند حزب الله واللبنانيين بعامة. ولدى هذا المأزق الذي تعرضت له اسرائيل بدأ مجلس الأمن ومن خلفه الولايات المتحدة في التحرك لإنقاذ ما يمكن إنقاذه وعملت الولايات المتحدة في أول الأمر على إصدار قرار يظهر اسرائيل وكأنها المنتصرة في هذه الحرب ولكن الصمود اللبناني أفشل هذه المخططات. وجاء القرار في نهاية الأمر هزيمة واضحة للولايات المتحدة واسرائيل على الرغم من أن الرئيس الامريكي جورج بوش حاول أن يظهره على غير ذلك النحو.

وعلى الرغم من هذا النجاح الباهر الذي حققه الشعب اللبناني بصموده وكفاحه فقد حاولت بعض الأصوات المهزومة في العالم العربي أن تقلل من قيمة هذا الإنتصار الكبير بإثارة موضوع المسؤولية حول إثارة هذه الحرب والنتائج التي ترتبت عليها وكأنه كان على العالم العربي أن يقبل الذل والهوان لمجرد ألا ينكشف ظهر هذه النظم البائدة التي تسيطر على العالم العربي من أقصاه إلى أقصاه. ولكن الربح هو ثمن المغامرة وما كان للبنان أن يسكت عن الجرائم الإسرائيلية خاصة أن الشعب اللبناني البطل كان يعرف أن المواجهة الحاسمة مع اسرائيل هي مواجهة مؤجلة وأنها لا بد أن تنفجر بشكل نهائي في لحظة من لحظات المستقبل وذلك أمر لا تقيم له اسرائيل كبير اعتبار لانها تعتقد أنها قادرة على فرض إرادتها من خلال امتلاكها لترسانة اسلحتها التقليدية.

واليوم وبعد الانتصار اللبناني الأكيد تغيرت الصورة ليس فقط بالنسبة لاسرائيل بل أيضا بالنسبة للعالم العربي لأن الناس بدأوا يتساءلون عن الاسباب التي جعلت العرب يتقاعسون بينما هم يمتلكون جميع أدوات الإنتصار على الرغم من أنهم ينفقون الأموال الطائلة في شراء الاسلحة التي لا تستخدم أبدا إلا لقمع الشعوب العربية وتأكيد سلطة النخب الشمولية بل وملء جيوبها بالرشاوى والأموال التي تقتطع من قوت الشعوب. ولا شك أن المحاسبة ستكون عسيرة لهؤلاء في المستقبل القريب، أما بالنسبة لاسرائيل فقد بدأ الآن العد التنازلي ولن يكون المستقبل كالماضي لان اسرائيل حكمت على نفسها بالموت بعد أن رفضت كل الحلول العقلانية والسلمية، وقد تعلم العالم العربي الآن أنه ليس بحاجة إلى ترسانات اسلحة تقليدية لهزيمة اسرائيل وكل ما يريده هو توافر الإرادة وتنظيم المقاومة التي تضع حدا للطموحات الصهيونية في المنطقة. وذلك امر لا يبدو أن الرئيس الأمريكي لا يدركه على الرغم من مكابرته وخروجه على الناس قائلا بان بلاده واسرائيل تواجهان الفاشية الإسلامية بينما يغض الطرف عن جرائم اسرائيل في قتل الأطفال والأبرياء ولكن العالم كان متنبها في هذه المرة ولم ينطل عليه خطاب بوش ومحاولته صرف أنظار العالم عما يجري في لبنان من خلال أكذوبة تفجير الطائرات في المحيط الاطلسي، وخلاصة ما نرمي إليه هو التأكيد على أن الإنتقال من هذه المرحلة لا يكون بالعودة إلى الواقع القديم بل إلى مرحلة جديدة من المواجهة مع اسرائيل وكذلك مع الأنظمة العربية الخانعة، وفي هذه المرحلة لن تقبل الشعوب العربية بالفتات بل ستنتزع حقوقها انتزاعا ورغم إرادة حكوماتها. ولا يعني ذلك أن الطريق سيكون سهلا لأن تحرير الأراضي الفلسطينية المحتلة لا بد أن يسبقه تحرير آخر في العواصم العربية وتلك مقولة قديمة ينظر إليها البعض بغير قليل من السخرية على الرغم من أنها مقولة صادقة، ولكن العالم العربي سينتظر أيضا ليرى كيف ستكون ردود الافعال الإسرائيلية وهي تواجه هذه النكسة العسكرية والاستراتيجية.

* كاتب من السودان

حزيران الذي انتهى في تموز!

جواد البشيتي

■ في أعياد ومناسبات لا معنى لها، يحرص الزعماء العرب على تبادل برقيات التهنئة.. وكم تمنَّيتُ أن يُرْسِل زعيم عربي برقية تهنئة إلى الأمين العام لـ «حزب الله»، أو إلى «ممثّلي الشرعية اللبنانية»، بالنصر الاستراتيجي والتاريخي القومي الذي أحرزه «جيش عربي جديد»، مُنْهيا به ليل حزيران الطويل. قد يستصعبون الأمر، فهذا النصر ليس بحلو المذاق إلا في أفواه المنتصرين؛ ولكن كان في مقدورهم أن يوبِّخوا رئيس الوزراء الإسرائيلي، وأن يقولوا له بالفم الملآن: «لقد قُمْتَ بمغامرة عسكرية غير محسوبة العواقب». لقد صمتوا مع صمت المدافع.. ولكنَّ كل صمتهم لن يمنعهم، ولن يمنع الأمة بأسرها، من سماع دوي النصر الذي ليس كمثله نصر!

سمعْتُ «خبيرا استراتيجيا عربيا رسميا»، لا فُضَّ فوه، يقول إنَّ «حزب الله» أبلى في الحرب بلاء حسنا.. صمد وقاوم، ومنع الجيش الإسرائيلي من احتلال بنت جبيل وعيتا الشعب.. ولكنَّه ليس بقادر عسكريا على «تحرير» ولو جزء ضئيل من شمال فلسطين، ولم يستطع منع إسرائيل من تدمير البنية التحتية المدنية في لبنان. هذا «الخبير»، الذي يقف ضد كل «مغامرة غير محسوبة العواقب» كتلك التي أقدم عليها «حزب الله»، جاء بـ «مسطرة»، لا يستعملها إلا كل من له مصلحة في بث روح الانهزام في الأمة، وشرع يقيس بها حجم الإنجاز الذي حققه «حزب الله»، فتوصَّل إلى أن حجم الدمار الذي حلَّ بلبنان قد قلَّص، ويجب أن يُقلِّص، كثيرا حجم الانتصار العسكري والميداني الذي أحرزه الحزب، فويل لأمة تُمَنى بهزيمة استراتيجية وتاريخية في حزيران 1967، فتدعوها «نكسة»، ويأتيها نصر استراتيجي وتاريخي قومي على طبق من فضة فتسعى في بيعه بثلاثين من الفضة!

أليس نصرا عربيا عظيما أن يذهب الجيش الإسرائيلي، الذي بانهزامنا جعلناه جيشا لا يُقهر ولا يُهزم، إلى «حرب وجود» وهو أعمى البصر والبصيرة، لا علم لديه يُذْكَر بما يملكه العدو، أي «حزب الله»، من قوة عسكرية، متوهِّما أنَّه، وفي بضعة أيام، وبضربات جوية من النمط الذي شهدناه في كوسوفو وصربيا، سيهزمه بالضربة القاضية «الحزيرانية»؟!

إسرائيل التي تَعْلَم القدرات العسكرية لجيوشنا النظامية أكثر مما تَعْلَمها قياداتنا العسكرية فشلت فشلا لا ريب فيه في معرفة ما يملكه «حزب الله» من قوة عسكرية، موهمة نفسها أنَّ منصات إطلاق الصواريخ التي لدى الحزب لن تكون بأحسن حال من سلاح الجو العربي في حزيران 1967 الذي انتهى في تموز 2006.

وإنصافا للحقيقة أقول إنَّ عهد شارون هو الذي هُزِم إذ هُزِم جيش اولمرت، فهذا الجيش إنَّما دخل الحرب مسلَّحا بـ «معلومات» جُمِع معظمها في عهد ذاك الغارق في غيبوبته. ويحق لاولمرت أن يتسلَّح بهذه الحقيقة في تبرير وتعليل هزيمته.

أليس نصرا عظيما أن يمنع «حزب الله» معادلة «الأرض في مقابل السلام»، من أن تَنْبُت في ميدان القتال في جنوب لبنان؟!

المعنى الأول للهزيمة العربية الحزيرانية، هو تمكُّن إسرائيل من احتلال تلك الأرض العربية الواسعة.. وفي ستة أيام، وبعد تدمير جيوش عربية. والمعنى الثاني، هو أن تحتلها احتلالا «آمنا»، وكأنها أرض نُزِعت منها، قبل احتلالها، المقاومة، رجالا وسلاحا..

كل هذا من معنى الهزيمة لم نرَ منه شيئا في جنوب لبنان، ولا حتى في أقصى جنوب لبنان. «حزب الله» منع إسرائيل من احتلال الأرض، فبقيت عيتا الشعب تَبْعُد بُعْد نيويورك عن الحدود الشمالية لإسرائيل، التي لإخفاقها في إنجاز «احتلال آمن» شرعت تحاول احتلالا لا أثر فيه يُذْكَر من معنى «الاحتلال العسكري». جاءت إلى لبنان جوا وبحرا، عن اختيار؛ ثمَّ برا، عن اضطرار، من أجل أن تقضي على «حزب الله»، وتخطف أو تقتل حسن نصر الله، فعادت منه بأسيرين هما علَم «حزب الله»، ومدني لبناني يدعى حسن نصر الله!

هل رأيتم علَما أبيض واحدا هناك؟! هل رأيتم عشرات ومئات وآلاف المقاتلين يخرجون وأياديهم مرفوعة، وهم أشباه عراة؟! إنَّكم لم تروا شيئا من هذا أو ذاك إلا في ثكنة مرجعيون التي يراد لأمثالها أن تدرأ المخاطر عن الأمن القومي العربي!

أليس نصرا عظيما أن تُكْرَه إسرائيل على قبول معادلة «تل أبيب في مقابل بيروت»، فلا تجرؤ على ضربها وهي التي زعمت أنَّ البنية التحتية العسكرية لـ «حزب الله» قد دُمِّرت تماما، وأنَّ معظم ترسانته من الصواريخ بعيدة المدى (أي القادرة على بلوغ تل أبيب) قد دُمِّر؟! لِمَ أحجمت لو كان زعمها صادقاً؟!

أليس نصرا عظيما، بالمعيار الأخلاقي ـ السياسي، أن يبدي «حزب الله» من الكفاءة القتالية ما يضطر آلة الحرب الإسرائيلية إلى أن تبدي ما أبدت من وحشية، وكأنها ما عادت تملك من الكفاءة الا تلك التي تشهد عليها جسور لبنان ومنشآته لتوليد الطاقة الكهربائية؟!

لو كان المدافعون عن بنت جبيل وعيتا الشعب.. من نمط أولئك الذين رأيناهم في ثكنة مرجعيون لمَا اضطرت إسرائيل إلى التوحُّش في حربها على لبنان، ولظَهَرَت على أنها إله «الحرب النظيفة»، التي تشبه الانقلاب الأبيض!

في الدمار الذي حلَّ بلبنان لم يروا إلا المأساة الإنسانية التي صنعتها «المغامرة غير المحسوبة العواقب»، والتي لا تثير فينا من المشاعر إلا ما يُفْقِد عيوننا القدرة على حبس دموعها، التي كان بعضها دموع حَق يراد به باطل!

لم يروا في الدمار صمودا أسطوريا أصاب العقل العسكري والسياسي الإسرائيلي بهذا الجنون. ولم يروا في هذا الجنون ما يشبه مجيء النَّعي بالخبر المُفْجِع.. خبر انهيار قوة الردع الإسرائيلية، وتزعزع المكانة الاستراتيجية لدولة إسرائيل وجيشها لدى الولايات المتحدة.

أليس نصرا عظيما أن تَرْسُم لنا التجربة في بنت جبيل وعيتا الشعب.. «خريطة طريق»، إن اتَّبعناها يَتْبعنا النصر؟!

«التجربة» تلك لن نتمثَّلها، ولن نغدو أبناء لها، إلا إذا سلَّمْنا، أولا، بأن «حزب الله» انتصر، وإسرائيل هُزِمت، وانتقلنا، من ثمَّ، إلى البحث العميق في الأسباب التي جعلت «حزب ال